

تفسير ابن كثير

وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ ۚ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ
وَأَيُّوبَ ۚ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ ۚ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ

خبر تعالى أنه وهب لإبراهيم إسحاق ، بعد أن طعن في السن ، وأيس هو وامرأته " سارة "

من الولد ، فجاءته الملائكة وهم ذاهبون إلى قوم لوط ، فبشروهما بإسحاق ، فتعجبت

المرأة من ذلك ، وقالت : (قالت يا ويلتى أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا إن هذا لشيء

عجيب قالوا أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد)

[هود : 72 ، 73] ، وبشروه مع وجوده بنوته ، وبأن له نسلا وعقبا ، كما قال : (

وبشرناه بإسحاق نبيا من الصالحين) [الصافات : 112] ، وهذا أكمل في البشارة ،

وأعظم في النعمة ، وقال : (فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب) [هود : 71]

أي : ويولد لهذا المولود ولد في حياتكما ، فتقر أعينكما به كما قرت بوالده ، فإن الفرح

بولد الولد شديد لبقاء النسل والعقب ، ولما كان ولد الشيخ والشيخة قد يتوهم أنه لا يعقب

لضعفه ، وقعت البشارة به وبولده باسم " يعقوب " ، الذي فيه اشتقاق العقب والذرية ،

وكان هذا مجازاة لإبراهيم ، - عليه السلام - ، حين اعتزل قومه وتركهم ، ونزح عنهم
وهاجر من بلادهم ذاهبا إلى عبادة الله في الأرض ، فعوضه الله ، عز وجل ، عن قومه
وعشيرته بأولاد صالحين من صلبه على دينه ، لتقربهم عينه ، كما قال [تعالى] (فلما
اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحاق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا) [مريم : 49
[، وقال هاهنا : (ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلا هدينا) وقوله : (ونوحا هدينا من قبل)
أي : من قبله ، هديناه كما هديناه ، ووهبنا له ذرية صالحة ، وكل منهما له خصوصية
عظيمة ، أما نوح ، - عليه السلام - ، فإن الله تعالى لما أغرق أهل الأرض إلا من آمن
به - وهم الذين صحبوه في السفينة - جعل الله ذريته هم الباقين ، فالناس كلهم من
ذرية نوح ، وكذلك الخليل إبراهيم ، - عليه السلام - ، لم يبعث الله ، عز وجل ، بعده
نبيا إلا من ذريته ، كما قال تعالى : (وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب) الآية [العنكبوت
: 27] ، وقال تعالى : (ولقد أرسلنا نوحا وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب) [
الحديد : 26] ، وقال تعالى : (أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم
وممن حملنا مع نوح ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل وممن هدينا واجتبينا إذا تتلى عليهم آيات

الرحمن خروا سجدا وبكيا) [مريم : 58] .وقوله في هذه الآية الكريمة : (ومن ذريته)

أي : وهدينا من ذريته (داود وسليمان) الآية ، وعود الضمير إلى " نوح " ؛ لأنه أقرب

المذكورين ، ظاهر . وهو اختيار ابن جرير ، ولا إشكال عليه . وعوده إلى " إبراهيم " ؛

لأنه الذي سبق الكلام من أجله حسن ، لكن يشكل على ذلك " لوط " ، فإنه ليس من

ذرية " إبراهيم " ، بل هو ابن أخيه مادان بن آزر ؛ اللهم إلا أن يقال : إنه دخل في

الذرية تغليبا ، كما في قوله تعالى : (أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه

ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلها واحدا

ونحن له مسلمون) [البقرة : 133] فإسماعيل عمه ، ودخل في آبائه تغليبا . [وكما قال

في قوله : (فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس) [الحجر : 30 ، 31] فدخل

إبليس في أمر الملائكة بالسجود ، وذنم على المخالفة ؛ لأنه كان قد تشبه بهم ، فعومل

معاملتهم ، ودخل معهم تغليبا ، وكان من الجن وطبيعتهم النار والملائكة من النور [وفي

ذكر " عيسى " ، - عليه السلام - ، في ذرية " إبراهيم " أو " نوح " ، على القول الآخر

دلالة على دخول ولد البنات في ذرية الرجال ؛ لأن " عيسى " ، - عليه السلام - ، إنما

ينسب إلى " إبراهيم " ، - عليه السلام - ، بأمه " مريم " - عليها السلام - ، فإنه لا أب له

قال ابن أبي حاتم : حدثنا سهل بن يحيى العسكري ، حدثنا عبد الرحمن بن صالح ،

حدثنا علي بن عابس ، عن عبد الله بن عطاء المكي ، عن أبي حرب بن أبي الأسود قال

: أرسل الحجاج إلى يحيى بن يعمر فقال : بلغني أنك تزعم أن الحسن والحسين من ذرية

النبي - صلى الله عليه وسلم - ، تجده في كتاب الله ، وقد قرأته من أوله إلى آخره فلم

أجده؟ قال : أليس تقرأ سورة الأنعام : (ومن ذريته داود وسليمان) حتى بلغ (ويحيى

وعيسى) ؟ قال : بلى ، قال : أليس عيسى من ذرية إبراهيم ، وليس له أب؟ قال : صدقت

فلهذا إذا أوصى الرجل لذريته ، أو وقف على ذريته أو وهبهم ، دخل أولاد البنات فيهم

، فأما إذا أعطى الرجل بنيه أو وقف عليهم ، فإنه يختص بذلك بنوه لصلبه وبنو بنيه ،

واحتجوا بقول الشاعر العربي : بنونا بنو أبنائنا وبناتنا بنوهن أبناء الرجال الأجانب وقال آخرون :

ويدخل بنو البنات فيه أيضا ، لما ثبت في صحيح البخاري أن رسول الله - صلى الله عليه

وسلم - قال للحسن بن علي : " إن ابني هذا سيد ، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين

عظيمتين من المسلمين " فسماه ابنا ، فدل على دخوله في الأبناء . وقال آخرون : هذا تجوز

